



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2021/05/07
تاريخ القبول: 2021/09/16

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

حوارات بين تداولية نعوم شومسكي والخطاب الريكوري

*Dialogues between the deliberative Noam Chomsky
And Ricorienne speech.*

طاهر حفصة¹ ، أحمد بوعمود²

¹جامعة تيارت (الجزائر). tahar.haf@hotmail.fr

²جامعة تيارت (الجزائر). bouamoudahmed66@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث المتواضع إلى تقديم دراسة التقارب بين تداولية نعوم شومسكي وتأويلية بول ريكور مركزين في ثنايا بحثنا على المنعطفات المختلفة الواسعة التي استقى منها أفكارهما، وتوصلنا إلى النتائج التي توضح لنا وجود تقارب بين شومسكي وريكور في أنهما اكتشفا ما للرمز من دلالات، وتركيزهم على دراسة اللغة ومهمتهم الأساسية توسيع النموذج الألسني، إذا كان التأويل له مهمة فهم النص في سياقه وكتيبته، فإن التداولية لها القدرة على التحليل السياقي للغة، ويبدو أن لها علاقات بالعلوم المختلفة كمثل الهرمينوطيقا واللسانيات البنيوية وعلم الدلالة والأسلوبية والعلوم اللغوية وتحليل الخطاب والنصية والحجاج.

الكلمات المفتاحية: فلسفة، هرمينوطيقا، تداولية، خطاب، اللغة.

ABSTRACT.

This modest research aims to present a study of the convergence between Noam Chomsky's deliberative and Paul Ricoeur's hermeneutics, focusing in the folds of our research on the wide different turns from which their ideas drew, and we reached conclusions that show us the existence of a convergence between Chomsky and Ricoeur in that they discovered the symbol's connotations, and their focus on studying Language and their main task is to expand the linguistic model, if interpretation has the task of understanding the text in its context and totality, then deliberativeness has the ability to contextual analysis of language, and it seems that it has relations with different sciences such as hermeneutics, structural linguistics, semantics, stylistics, linguistic sciences, discourse analysis, textualism, and pilgrims.

Keywords: philosophy, hermeneutics, deliberative, discourse, language.

١. مقدمة:

تمثل الدراسة انغماس في فهم النظرية التداولية بما تحمله من إرهافات دلالية وفنية ومعرفية تستلهم أقطاب الحقول الفلسفية والأدبية والتأويلية مرتكزنا على النماذج السميائية والتحليل اللغوي والبنوي والتأويلي ونظريات القراءة تاركة مشروعاً ضخماً في مجال التحليلات والسجلات اللغوية مشكلتنا تناسبا بين النص والخطاب والكلام واللغة ضمن سياق ابستمي لغوي يرسم خريطة النقد تستقطب الفكر الإنساني صناعة وصياغة انطلاقاً من تصور ابستمولوجي للأفكار والمعارف والمبادئ، حيث نجد إشكالات النص والخطاب والكلام والمنطوق واللغة والإشارة والرمز والأسطورة محركاً دينامياً ومشكلة في آن واحد جدلاً ثرياً بين النظريات المختلفة للنهوض بمشروع حدائني في سياقه الدلالي.

واضح أن بول ريكور لديه رؤية فلسفية جعلته يحاور العديد من المناهج: كالوجودية والظواهرية ونظريات القراءة والتحليل اللغوي والألسنية ونظريات القراءة وأنتروبولوجية الدين والثقافة، ويبدو أن التداولية استفادت من ميراث النظريات والفلسفات القديمة والحديثة لتوسيع النماذج التداولية لدى النزعة النقدية التي يتزعمها رائد التحليل اللغوي "إميل بنفيسيت (E. Benveniste)"، "رومان جاكوبسون Roman Jakobson"، و"نعوم شومسكي Avram Noam Chomsky"، مشكلتنا نموذجاً معرفياً متوازناً نسقياً ضمن الحقل الألسني واللغوي.

وفي ظل الزخم الفكري يتبادر على أذهاننا الإشكالية الآتية:

ما الفرق بين الخطاب الهرمينوطيقي والخطاب التداولي؟

أية علاقة؟

2. التأويلية الفلسفية ورهانا النظرية التداولية:

1.2 - بول ريكور والمنعطف الألسني:

الفيلسوف الفرنسي بول ريكور *Paul Ricœur* (ولد بتاريخ ٢٧ فبراير ١٩١٣ فالنس - وتوفي في شاتيناي مالابري، ٢٠ ماي ٢٠٠٥)، انشغل بالبحث في الوجودية والظاهراتية والتأويلية ونظريات القراءة والتحليل اللغوي والسميولوجيا وأنتروبولوجيا الدين، مستفيداً مما تركته الفلسفات المختلفة مطوراً مشروعاً مهماً في الزمن الحاضر يتقاطع فيها مع كل المشاريع مؤكداً فيه على توسيع النموذج الألسني والبنوي والتداولي بما تحمله هذه المناهج من أفكار مهمة لتطوير المنهج التأويلي، ويعد كتاب ريكور "صراع التأويلات" نقطة تحول في فكر ريكور، لأنه تناول فيه بالبحث والتحليل والتدقيق للعديد من التيارات والمذاهب والمناهج. في البداية، ينظر ريكور إلى أن ممارسته للمنهج التأويلي تنطلق من مدى فهمه للموقف الذي يشدد على توسيع من عملية الفهم. وفي الطريق الآخر، اعتبار أن تجربة معرفة مفهوم اللغة بأنها تشكل وحدة كلية مشكلة من خطاب منفتح وتحتاج إلى معرفة حقيقية بها.

سؤالنا، هل خطاب التأويلية الريكورية يعد بعثا جديدا لخطاب اللغويات والتداوليات أم أنه توسيع للنموذج التداولي والبنوي؟.

يكون التأويل ضرورة من ضرورات تفسير النص بسبب رأي الفلاسفة أيضا - لتوضيح الشرح وتأييده، وذلك من منظور أن التأويل المشروع هو الوسيلة الفعالة للتعليم المقنع، ومن حيث كونه يعالج المستجدات والمستحثات الناتجة عن تطوير الزمن وتقدم الحياة، أضف إلى ذلك أيضا أن التأويل هو الوسيلة الناجمة لتقريب مفهوم التوحيد وإقامة الفرصة لعامة الناس لتقبل الدلالة على الوجه المطلوب ضمن إطار بنية النص الشرعي، والتنظير لبنية مستحثات الأفعال، وهو الأمر الذي يستهدف كل الناس، بغرض الكشف والتعرف إلى عمق الدلالة التي يتظاهر بها واقعهم (مجموعة من المؤلفين، ٢٠١١، ص ٦٧).

والملاحظ لدى ريكور: "يمكن للهرمينوطيقا، ما ذلك الحين، أن تبقى تقانة بيد المتخصصين من مؤولي الوحي والحوارق، ولقد استخدم القضية المتخصصة من مؤولي الوحي والحوارق، ولقد استخدم القضية العامة للفهم، وكذلك أيضا، فإن أي تأجيل مهم ما كان يمكنه أن يكون من غير أن يستعير من طرف الفهم المتوفرة في عصر من العصور: الأسطورة، والمجاز، والاستعارة، والقياس، إلى آخره، وان الارتباط التأويلي بالمعنى المحدد لشرح النص - بالفهم - بالمعنى الواسع لأدراك الإشارات - قد جرى التحقق منه بوساطة واحدة من المعاني التقليدية لكلمة التأويل نفسها، وهو المعنى الذي جاءنا من بارمينيدس وأرسطو، وانه يثير الدهشة بالفعل أن نجد عند أرسطو أن الهرمينوطيقا لا تتحدد بالمجاز، ولكن كل خطاب دال، يمكن القول أكثر من ذلك، إن الخطاب الدال تأويل، وهو الذي "يؤول الواقع"، وذلك بما أنه يقول "شيئا عن شيء"، وإذا كان ثمة تأويل فذلك لأنه التعبير بهذا استحوادا واقعيا بوساطة التعابير الدالة، وليس خلاصة مزعومة من الانطباعات الآتية من الأشياء نفسها. (بول ريكور، ٢٠٠٥، ص ٣٤)

وعودا على بدء، فإن مفهوم التأويل يتلقى هو أيضا قبولا محددا، (حسب ريكور في قوله) "وإني أقترح أن يعطي ما أعطى الرمز من اتساق، فنحن نقول أن التأويل هو عمل الفكر الذي يتكون من فك المعنى المختبئ في المعنى الظاهر، ويقوم على نشر مستويات المعنى المنضوية في المعنى الحرفي، وإني أقول هذا حيث يوجد معنى متعدد، ذلك لأن تعددية المعنى تصبح بادية في التأويل". (بول ريكور، ٢٠٠٥، ص ٤٤)

والتأويل مشتق من أول الكلام وتأوله: دبره وقدره. وأوله وتأوله، فسره. والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاجه لولاء ما ترك ظاهر اللفظ. والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه. (ابراهيم أحمد، ٢٠٠٨، ص ٤٤)

ويبدو أن ريكور أضفى على البنيوية، كما يفعل بعض نقادها، تعاضدا غير مشروط بين التزامن والتعاقب، ولقد كان ليفي ستروس محقا إن واجه منتقديه (الأنثروبولوجيا البنيوية، ص ١٠١-١٠٣) مقال رومان جاكبسون الكبير حول مبادئ علم الصوتيات التاريخي، حيث يفصل المؤلف بوضوح بين التزامني والسكوني، وما يهم هو ضم التعاقب إلى التزامن وليس التعارض بينهما، وان هذا الضم هو الذي يشكل مسألة الإدراك في تفسير النصوص، فالتعاقب ليس دلالات، إلا بعلاقته مع التزامن وليس العكس. (بول ريكور، ٢٠٠٥، ص ٦٦)

إن الوساطة بالنصوص: لأول وهلة، تبدو هذه الوساطة محدودة أكثر من الوساطة بالعلامات وبالرموز التي يمكن أن تكون سنوية فقط، أو حتى غير لفظية، ويظهر أن الوساطة بالنصوص تقتصر مجال التأويل على الكتابة والأدب وذلك على حساب الثقافات الشفهية، وهذا صحيح، إلا أن ما يفقده التعريف في الامتداد يكسبه في الكثافة، فالكتابة تفتح، فعلا، مصادر أصلية [...]، أما الخطاب ويفضل الكتابة يكسب الخطاب استقلالاً ذاتياً دلاليًا ثلاثياً تجاه قصد المتكلم وتجاه تلقي حضور بسطاء وتجاه الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تنتجها، بهذا المعنى ينتزع المكتوب عند حدود الحوار المتواجد ويصبح هو شرط صيرورة الخطاب نصاً، ويبقى على الهرمينوطيقا استكشاف استتبعات صيرورة النص لاستعمالها في التأويل (بول ريكور، ٢٠٠١، ص ٢٤).

ومعلوم أن البنيوية تختلف عن التأويلية من المنهج، لكنهما يقتربان في حقل اللغة، "وترجع جذوره إلى علم اللغة البنيوي، أي إلى الفكرة القائلة أن نسق العلاقات المعجمية Lexical هو جزء من مقدرتنا اللغوية Linguistic Competence، ولما كانت هذه المقدرة اللغوية لأي قارئ تنبع من تجربته ومعرفته، فإن بعض اللغويين البنيويين يقولون بوجود ما يسمى القارئ الممتاز Super Reader ويرون فيه أداة للتحليل ووسيلة لإعادة قراءة النص، ذلك لأن القارئ الممتاز قادر بخبرته على النفاذ في النص وإلتقاط المواضع التي تتكشف عن أهمية خاصة بالنسبة إلى المعرفة المحددة التي يملكها هذا القارئ. (ديث كيروزيل، ١٩٨٥، ص ٤٩)

إن إعادة تكوين البعد التاريخي للإنسان تقتضي أكثر بكثير من مجرد إصلاح منهجي ونعني، أكثر من مجرد إضفاء مشروعية استمولوجية على فكرة علوم الفكر أمام متطلبات علوم الطبيعة، وحدها زعزعة أساسية تربط نظرية المعرفة بالأنطولوجيا، تستطيع أن تظهر المعنى الحقيقي لما في بنية الفهم (أو لبنية استباق الفهم) التي تشترط كل إعادة للحكم المسبق. (بول ريكور، ٢٠٠١، ص ٢٦٨)

وقد ركز ريكور بدوره على التعارضات في اللغة، خصوصا الأوجه الثنائية للاستعارة والكنائية، وذلك منذ أن واجه نظريات ليفي سترافوس في بداية الستينيات، ولكن ريكور لا يهتم باللغة أو التفكير الاستعاري في ذاتهما، بل يحاول -باهتمامهما- أن يشرح الأسباب التي تنبغي أن تفسر بها الأساطير، والكيفية التي تصل الظواهر فوق الطبيعة التي تحاول الأساطير تفسيرها، والكيفية التي تصل بها هذه الأساطير بين وجود الفرد والله. (كيروزيل، ١٩٩٢، ص ٢٦)

انطلاقاً من ما تناولناه سابقاً حول خطاب الهرمينوطيقا الموجه إلى النص لاكتشاف ملاسبات النص وتناسخه مع مختلف المعارف وعلاقته بالتحليل اللغوي والألسني والمعنمي نصل إلى أن اللغة عند ريكور تحتاج إلى توسيع في نموذجها، مشدداً هذا الأخير على القول بفكرة الرمز وتعددية المعنى، بمعنى أن الرمز يدعو إلى التفكير في رأي ريكور، واضح أن ريكور تمكن من تناول أسئلة الذاتية ومسؤولية الفعل الإنساني وحواره المتميز لمجمل الحقول التي ساعدته في تطوير نظرية التأويل، حيث اعتبر البعض انتعاشاً فكرياً في مطلع القرن العشرين. ويضاف إلى ذلك بأنه حاول التركيز على مدرسة نظرية أخلاقية كانت دوماً حاضرة في فلسفته، حيث تنطلق أبحاث الأخلاق بالتركيز على العلاقات بين الآخر والشخص، الذات وشخص أو عدة أشخاص قريبين، ويتوالى حتى سؤال العدالة والعيش مع آخرين فيما وراء هؤلاء الذين يلتقيهم المرء يومياً أو وجهاً لوجه لإظهار الصورة النمطية للأتمودج الذي تبنى عليه كل نظرية.

2.2 - التناص بين النسقية الريكورية والخطاب الشومسكي:

لقد لعبت النظريات الفلسفية والأدبية دورا رياديا في بناء منظومة الفكر للفيلسوف النهم بول ريكور الذي حاول إعطاء صورة نمطية جديدة للفكر التأويلي قائمة على أسس ومرجعيات متنوعة اعتبره البعض انتعاشا فكريا في القرن العشرين، ويبدو أن شومسكي يضاف إلى الأعمال المهمة في مطلع القرن العشرين، لأنه قدم لنا مشروعاً يهتم بالعلاقة بين مختلف الأنسجة الخطابية، وبالرغم من أن مشروع ريكور التأويلي أوسع من النموذج التداولي، إلا أنه يمكن للتأويلية الاستفادة من حقل التداولية.

صرحت المراجع بأن أصل كلمة "Text" في اللغة الإنجليزية، وكلمة "Textet" في اللغة الفرنسية، بل وفي كثير من اللغات الأوربية الأخرى فيها بعض اللغات السلافية لها الجذر اللغوي نفسه والدلالة نفسه، وترجع إلى الأصل اللاتيني "Textus" بمعنى النسيج، أو الصغيرة من الشعر، ومنه تطلق كلمة Textil على ماله علاقة بإنتاج النسيج بدءاً بمرحلة تحضير المواد، وانتهاء بمرحلة النسيج النهائي وبيعه، وقد ترجمت كلمة Text و Texte إلى اللغة العربية بكلمة نص. (عبد الخالق فرحان شاهين، ٢٠١٢، ص ١٨)

وما لاحظته "عبد الخالق فرحات شاهين" في معجم "لاروس العالمي" أن كلمة Text أنت من فعل Texere، ومعناها نسيج ومن هذا يعني أن النص هو النسيج، لما فيه من تسلسل في الأفكار، وتوال الكلمات، وقد أشار "رولان باث" R.Barths إلى أن كلمة Texte تدل على النسيج، وهذا النسيج يوصف بأنه نتاج وستار يختفي وراء المعنى، وقد شبه نسيج النص بأنه نسيج العنكبوت لبراعة نسجه وتماسكه: بحيث يتعلق بعبءه ببعض، وهنا تبرز خصيصة أساسية وجوهرية وهي ترابط مكوناته وتشابكها على نحو يشكل وحدته الكلية. (عبد الخالق فرحات شاهين، ٢٠١٢، ص ١٨)

ويبدو أن العالم اللغوي المعاصر نعوم شومسكي N.chomsky تأثر بآراء دي سوسير في اللغة ظاهرة اجتماعية ذات نسقين، لغة وأطلق عليه Compétence (خليل أحمد عمارة، ٢٠٠٤، ص ٢٩٣). أما الشق الثاني فهو الكلام ويطلق عليه performance وهو مجموعة الأصوات اللغوية المنطوقة، ينطق بها مجموعة من الأفراد بكيفية معينة، وليس من الضروري أن تكون متفقة مع قواعد اللغة وقوانينها وأنظمتها، أو خاضعة لها، وإنما تخضع للموقف الذي فيه المتكلم فيعبر عما في نفسه دون تأمل أو تبصر وهذا هو ميدان Surface Structure. (خليل أحمد عمارة، ٢٠٠٤، ص ٢٩٤)

لقد شهد القرن السابع عشر تحولا جذريا من المعالجة الكيفية إلى فلسفة آلية ليس بخصوص الطبيعة وحسب، بل فيما يخص الإنسان أيضا، وليس من الضروري التذكير في هذا الموقع بديكارت وبالجدسد والآلة، فقد يكون من الأفضل التذكير بأركيولوجيا نصوص أقل شهرة، ومنها نص للطبيب الايطالي باغليفي Baghlivi يرجع إلى سنة ١٩٩٦ يماثل فيه مماثلة كلية بين الجسد الإنساني والترتيبات الآلية. ولاحظوا بدقة الباء الجسدي للإنسان، ماذا أنتم واجدون؟ الفكأن المسلحان بالأسنان ماذا عن كلاليب؟ المعدة ليست غير مقطعة (une cornue) الأوردة والشرايين وكل نظام

الأوعية أنابيب هيدروليكية القلب زميرك، الأمعاء ليست غير مصفيات وغرايبل، الرئة ليست غير منفاخ، ما العضلات إن لم تكن حبالا، ما الزاوية البصرية إن لم تكن بكرة... وهكذا. (عبد العزيز العيادي، ١٩٩٤، ص ٨١)

والتحول من مجتمع العقاب إلى مجتمع المراقبة كان مصحوبا بتحول معرفي يصل إلى حد القطع الاستمولوجي، فلم لا إذن القطع في كيفية إدراك السياسي والتعامل معه والموقف الفلسفي منه، وفق تحول شروط الوجود الاجتماعي والتاريخي، وان مجموع هذه التحولات الموضوعية تفرض خطابا بلائهما ويلازمهما ويكون جديرا بمتابعتها، فإذا كانت العقلانية الكلاسيكية قد عجزت عن متابعة أفكار التحولات العلمية في أبعادها وأزماتها، فان هذه العقلانية الكلاسيكية لن تكون أقل عجزا في متابعة تحولات تقنيات السلطة وآلياتها وكيفية ممارستها ومحاولات عملها. (عبد العزيز العيادي، ١٩٩٤، ص ٨٢)

ونجد الناقد "امبرتو ايكو" يتحرى الأمر بخصوص النظرية التوليدية للاستعارة وهو يقول: "من الصعب جدا اقتراح نظرية توليدية للاستعارة في خارج حدود مخبرية" (امبرتو ايكو، ٢٠٠٤، ص ١٤٣)، وان القناعة التداولية القائلة بإمكان التخلص من كل المشاكل القديمة، وكل التمييزات القديمة للوصول إلى حالة نقاء سعيد، حيث أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن نفعله هو أن نستعمل هذا الشيء الوحيد الذي يمكن أن نفعله، هو أن نستعمل هذا الشيء، كما يقول ريتشارد رورتي، هي قناعة تتميز بالبساطة ومع ذلك، فإنها تغفل المشاكل التي واجهت أمبرتو ايكو وغيره، بدءا من معرفة الكيفية التي من خلالها يستطيع نص ما تجاوز الإطار المفهومي الذي يؤول من خلاله، أنها مشاكل لن تحتفي في اعتقادي، من خلال توجيهات تداولية تقول بعدم الاكتراث بالتأويل والاكتفاء باللذة". (امبرتو ايكو، ٢٠٠٤، ص ١٧١)

يبدوا أن فريدينالد دي سوسير هو الذي أيد، بنفاذ بصيرة، في ملاحظاته عن النايبلونج-Nibelungen- التأويلات السميائية للأساطير، فهو يقول: "حقا كلما تعمق المرء في الأشياء سوف يرى في هذه المنطقة أي الأساطير، كم في المنطقة الأصلية لعمل اللسانيات، أن تعرض الفكر كلها ناجمة عن الافتقار إلى تأمل ودراسة ما يتعلق بطبيعة هوية- أو ملامح هوية- كائن غير موجود مثل: الكلمة أو الشخص الأسطوري، أو حرف أبجدي التي هي مجرد أشكال مختلفة للعلامة بمعناها الفلسفي". (رومان جاكسون، ٢٠٢٠، ص ٦٢)

ويبدوا أن النص يعمل على إثبات قوته أمام القارئ بكل من معانيه وألفاظه، لان النص هو فيض من المعاني، وحسب بارث أن النص يحتوي لذة وسلطة تستهوي القارئ وتستهلم كل فكر يريد فهم حقيقة النص، واضح أن لا معنى للنص من دون فهم، ولا فهم من دون نص، ويمكن توصيف هذا الكلام بعبارات موجزة أكثر صرامة ودقة "استحالة التأويل، استحالة الترجمة، استحالة القراءة، استحالة الفهم"، ويضاف إلى ذلك التحليل والفهم، لا يمكننا التعبير عن فهمنا بسبب قصور المعنى للنص (حجب النص). ونصل في الأخير إلى طريق مسدود بفعل سوء أو انعدام فهم النص.

ويمكننا استحضار كلام رولان بارث، وهو يقول "يبدأ النص غير الثابت، النص المستحيل مع الكاتب (أي مع قارئه)، والقراءة تجعل المكتوب بدايات لا تنتهي إنها تكرر المكتوب على نفسه، فهو لا يزال بها يدور، حتى لكان كل

بداية فيه تظل بداية. ولذا كانت نصوص القراءة هي نصوص البدايات المفتوحة، إنها تكتب، وتقرأ، ولكنها لن تبلغ لجمالها كتابة، ولا تمامها قراءة، ولعل هذا هو السر في أنها كانت نصوص لذة". (رولان بارت، ١٩٩٢، ص ١١)

3. المنعطف التداولي للغة لدى نعوم شومسكي:

1.3 - اللغة وخطاب التداولية:

ولد نعوم شومسكي في ٧ كانون الأول عام ١٩٢٨ في فيلادلفيا لأسرة هاجرت من روسيا وكان عالما بارزا له مؤلفات عن اللغة العبرية والتاريخ، دخل نعوم جامعة بنسلفانيا عام ١٩٤٥ وألتقى هناك بزيبينغ هاريس العلم اللغوي ومؤسس قسم اللغويات الأول في جامعة بنسلفانيا وفي الولايات المتحدة كلها وفي عام ١٩٤٨ قرر تشومسكي أن يتخصص بالاعنويات وحصل على البكالوريوس بدرجة مشرف عام ١٩٤٩، وتزوج بنفس العام من كارول شارلز ونال درجة الماجستير عام ١٩٥١، أصبح تشومسكي زميل في هارفارد ونال درجة الدكتوراه عام ١٩٥٥ عن أطروحته حول التحليل التحويلي التي نشرت كجزء من كتابه التركيب المنطقي للنظرية اللغوية عام ١٩٧٥. (نعوم شومسكي، ٢٠١٧، ص ٥).

تمثل التداولية الاتجاه الأدبي والفلسفي الذي اهتم بعلم العلامات واللغة، حيث نجد العديد من التعريفات التي توضح لنا نشأة التفكير التداولي، ومن بينها تعريف شارل موريس Charles W. Morris وهو يقول: "التداولية بانها تعني بدراسة العلاقة بين العلامات وبين مستعملها ومفسر بما (متكلم، السامع، القارئ- كاتب)". (بوجادي خليفة، ٢٠٠٩، ص ٦٧)

يوجد تقاطع بين التداولية والتأويلية والبنوية والسميائية ونظريات القراء والسميولوجيا والتحليل اللغوي في اعتماد كل منها على اللغة كمفتاح لفهم النص وحدوده وفتياته، ويضاف إلى ذلك بأن أقطاب المنهج التداولي استلهموا من ما تركته الاستمولوجيا من أفكار وصياغة منطقية كمدسة براغ، وحلقة فينا والمدارس النقدية والتحليل السردى بما تقدمه هذه المناهج من بناء جديد للغة، ويبدو أن البنوية كاتجاه فلسفي يحمل في ثناياه لعبة استثمار النص في سياقة الدلالي لكشف البنية والنسق الذي يشكل نسق العلامات.

إن الاعتقاد السائد لدى الناقد شومسكي حول طبيعة استخدام اللغة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالكائن البشري أو أي كائن حي معقد له نظام تراكيب معرفية تتطور كثيرا بالطريقة التي تتطور بها الأعضاء البدنية للجسم. كما تعتبر وسيلة مهمة لخلق فضاء اجتماعي تفاعلي.

وحسب شومسكي ما هي أعظم الانجازات في مجال اللغويات؟.

يقول شومسكي اعتقد أن أهم عمل يحدث عليه أن يتعامل مع البحث عن خصائص مجردة عامة لما سمي بالنحو الشامل: صفات اللغة العامة التي تعكس نوع من الضرورة البيولوجية بدلا من الضرورة المنطقية، أي صفات اللغة التي ليست ضرورة منطقية لمثل هذا النظام، بل الصفات الجوهرية الثابتة للغة الاسبانية التي تعرف دون تعلم، نحن نعرف

هذه الصفات لكنها لا نتعلمها، ونستخدم معرفتنا هذه الصفات كأساس للتعلم. (نعوم شومسكي، ٢٠١٢، ص ٧٧-٧٨).

ويبدو أن الرؤية الاستمولوجية لتحليل اللساني التداولي، عمل على توسيع النماذج ومقارنتها ومطابقتها بين مختلف المناهج، ويمكن اعتبارها نظاما ودافعا مهما لبناء وتوسيع النماذج الألسنية والتوليدية والبنوية والتأويلية... الخ، واضح للنسقية، يظهر التحلي التداولي ضمن نسق المحايثة النصية التي أظهرت براعتها في تطور قواعد الدرس اللساني التوليدي، هذا التوصيف، أظهر جملة وتفصيلا التقارب والتقاطع من جهة بين المناهج الأدبية المختلفة، ومن زاوية أخرى ساهمت في تطور النظرية التأويلية ونظريات تحليل الخطاب، وحسب الرؤية التشومسكية.

يظهر لنا بأن نظرية (تشومسكي)، هي نظرية عامة يمكن أن تستقطب كل الحقول والمذاهب المختلفة. والملاحظ أن النظرية اللسانية كصناعة استمولوجية ملائمة للملاحظة التشكلات الخطابية للغة بتتبع الجوانب النحوية والدلالية والخطابية، بدليل أن خطاب تشومسكي كان قاسيا عندما شدد على الدور المنوط للاستمولوجيا في كشف ملابسات النص - وحسبه رؤيته، لا يمكننا نسيان الحقول المعرفية التي أدت إلى تشكل معيار تناسي للنص باعتماده على وضع فرضيات تتعلق بمدى توسيع مجالات اللغة والنظرية التداولية.

كما حاول شومسكي أن يتناول الأساس الجيني للغة كونيا وشاملا؟، حيث يقول شومسكي: "نعم هذا صحيح لكننا جنس واحد فقط يمكن تخيل عالما مختلف تطور فيه عدد من الأجناس بأنظمة لغوية مختلفة محددة جينيا، لم تحدث بشكل تطوري، ما حدث أن أحد الأجناس تطور وصف أن أشمل علل تشكيلة متنوعة من مبادئ مجردة نظرية من التنظيم اللغوي الذي كذلك بالضرورة يكبح كل لغة، وفي الحقيقة، يخلق الأساس لتعلم اللغة بطريقة تنظيم التجربة بدلا من تشكيل شيء تعلمناه من التجربة. (نعوم شومسكي، ٢٠١٠، ص ٧٨)

بوسعنا أن نكون واثقين جدا من أن الحالات المختلفة التي تتخذها الملكة اللغوية تختلف فيما بينها بشكل سطحي فقط، وأن كل واحد منها تحددها الملكة اللغوية المشتركة، والسبب خلف هذا الاعتقاد مباشر وفي غاية الوضوح، ببساطة، تجربة، الطفل ذات العلاقة بالبيئة اللغوية محدودة جدا، يمكننا أن نتحقق من التجربة المتاحة، يمكننا النظر فيها ورؤية ما هي سرعان ما يبدو واضحا مباشر بأنها محدودة للغاية ومتجزئة بحيث لا يمكنها فعل أي شيء عدا تشكيل شكل موجود قبلا على نحو محدود. (نعوم شومسكي، ٢٠١٧، ص ٢٩)

يحاول تشومسكي في تحليلاته النقدية تحليل لمعنى السميائية واللسانيات البنوية عن طريق محاولة العودة إلى أفكار سيميائية غريماش وبنفسه ثم تعريجه على النموذج الألسني لما له أهمية على جميع المستويات وخصوصا في حقل النظرية الألسنية، لاهتمامها البليغ والمتأني باللغة والبيئة والخطاب والكلام والمنطوقات والعلاقة بينهما والتشكلات الخطابية، كما أنه رجع إلى عالم النفس فريدينالد ديسوسير رائد اللسانيات الحديثة لما له أهمية في نظرية التزامن والتعاقب، وأكد تشومسكي بالأهمية التي يحتلها هذا الأخير في الدراسات النقدية، لأنه اكتشف لنا سوسير حسب رؤية تشومسكي

ثنائية اللغة والفكر والعلاقة الرابطة بينهما، وفي هذا المنوال يمكننا أن نطرح سؤال جوهرى يساعدنا أكثر للاقتراب من فهم تشومسكي:

هل يمكن اعتبار السميائية علما، كما اللسانيات البنيوية؟

يجيبنا تشومسكي في قوله: " السميائية مهما بلغ مقدار فهمك لها، فلن تضيف لمعرفتك عموما أي شيء، بالنسبة لي لا تبدوا ذات قيمة أهمية بالغة، كنت ذات يوم في مؤتمر عالمي جمعي دان سبيربر Dan Sperber، كما من المفروض أن يلقي كلمة عن السميائية، نهض وذهب إلى السبورة ووضع دائرة كبيرة كتب فيها اللغة، ووضع نحوها دائرة صغيرة ورسم سهما يشير إليها كتب عليه "إشارات المرور"، ثم التفت إلى المسعى وقال: "هذه هي السميائية، كان يبالغ بالطبع، لكن ثمة ما هو صحيح في الفكرة التي أراد إيصالها. (نعوم شومسكي، ٢٠١٧، ص ٧٢)

ويلاحظ من أفكار نعوم شومسكي بقوله: "يمكننا أن نعتبر اللغة ليست أكثر من حالة للملكة اللغوية، هذا أقرب شيء ممكن لمفهوم يقدمه ذلك البحث النظري في اللغة، مفهوم اللغة البديهي". (نعوم شومسكي، ٢٠١٧، ص ٣١)

واضح أن تسمية الأنساق التي تحصل على تمثيلات، لمعنى الأنساق "التصورية - القصصية"، حيث المقصود بال "قصصية" هو المصطلح الفلسفي التقليدي لهذه العلاقة الغامضة للأشياء عن الأشياء ما، لذلك فإن الأنساق التصورية - القصصية - التي غالبا ما تكون غامضة - هي أنساق تحصل على جواب تعبيرية معينة تتمكنك من فعل ما تفعله باللغة، التعبير عن أفكارك، أو التحدث عن العالم، أو أيا كان ذلك. (نعوم شومسكي، ٢٠١٧، ص ٣٢)

يضاف إلى ما سبق بأن اللغة هي وسيط لغوي يحمل فكر المؤلف إلى القارئ، وبتوسع النموذج التداولي تبقى اللغة فيض من المعاني، ويوصف تشومسكي بأنه "الأب الروحي للسانيات الحديثة" ومؤسس نظرية "تسلسل تشومسكي" و"صاحب النظرية النحوية التوليدية" التي تعد من أهم النظريات في مجال اللغويات في القرن العشرين.

٣. ٢ - جدل اللغة، الخطاب والنص:

تعتبر النظريات الحديثة عن مقصديتها الاستمولوجية الدوغمائية في الحقل اللغوي ضمن الإطار العام الذي بنيت عليه الأفكار اللغوية والسميولوجيا والنصية ونظريات الخطاب ونظريات القراءة والتحليل اللغوي ضمن خط الفلسفة المعاصرة ونظريات الأدب، حيث اهتم تشومسكي وريكور وإتباعهم كل في اختصاصه بالبحث والتنقيب عن إشكالات اللغة لوضع نموذج يوسع من الحقول المعرفية للسمات العامة لتشكلات اللغة والخطاب.

وسؤالنا هل هناك تعارض صريح يعيق مسار التشكل الحقيقي للغة؟.

وكيف يمكن إنقاذ النص في ظل التشكلات الخطابية المختلفة؟

وقد ركز ريكور بدوره على التعارضات في اللغة، خصوصا الأوجه الثنائية للاستعارة والكنائية، وذلك منذ أن واجه نظريات ليفي شتراوس في بداية الستينات، ولكن ريكور لا يهتم باللغة أو التفكير الاستعاري في ذاتهما، بل يحاول -باهتمامه بهما، أن يشرح الأسباب التي تنبغي بها الأساطير تفسيرها، والكيفية التي تصل الظواهر فوق الطبيعة التي تحاول الأساطير تفسيرها، والكيفية التي تصل بها هذه الأساطير بين وجود الفرد والله. (ديث كيروزيل، ١٩٩٢، ص ٢٦) ويضاف إلى ما سبق ذكره بأن السميولوجيا، هي علم العلامات العام. والعلامة هي توليفة من الدال signifier والمدلول signified، من الكلمة التصور. والارتباط بين كلمة معينة (أو صورة صوتية) ومفهوم معين هو ارتباط اعتباطي arbitrary ومع ذلك، ليس للعلامة دلالة بمعزل عن العلامات الأخرى في نظام اللغة نفس، فهي تكتسب دلالتها من مكانها في نظام الاختلافات. ونظام الاختلاف يتوسع أفقيا ليقطع سلسلة من الدوال مكونا سلسلة دالة. (هيوغ سلفرمان، ٢٠٠٢، ص ٣٩)

إن القضية التي تشكل مركز تفكير (ريكور) هي أن نعرف إلى أين سيقود النموذج اللساني للعلاقات بين التزامن والتعاقب، وذلك في الإدراك التاريخاني الخاص بالرموز، ألا فلنقل الأمر مباشرة: ستحل النقطة الحرجة عندما تكون إزاء تقاليد حقيقية، أي إزاء سلسلة من النعرات عندما تكون إزاء تقاليد حقيقية، أي إزاء سلسلة من التصورات المؤولة، والتي لم يعد من الممكن النظر إليها بوصفها تدخل للغوص في حالة النسق. (بول ريكور، ٢٠٠٥، ص ٦٥)

لقد لاحظ ن.اس. تروتسكوي N.S.Trubelzkoy - عام ١٩٣٣ أن الجهود البنيوية التي تتميز بشمولها المنهجي قد أصبحت قاسما مشتركا بين العلوم الكيميائية والإحياء والنفس والاقتصاد والدراسات اللغوية، ولكن ليفي شتراوس لم يتوصل إلى المنهج الذي أتاح له تطبيق البنيوية في الأنتروبولوجيا إلا في أواخر الأربعينيات وكان ذلك حين سعى ليفي شتراوس إلى تفسير التحولات التي تحدث في الثقافة وفي الإدراك الفردي للواقع الاجتماعي في محاولة منهجة للكشف عن معنى الأساطير القبلية (في أمريكا الشمالية والجنوبية) من خلال دراسة التعارضات اللغوية والتحولات في اللغة المنطوقة. (ديث كيروزيل، ١٩٩٢، ص ٢٥-٢٦)

والملاحظ ن.اس. تروتسكوي N.S.Trubelzkoy - عام ١٩٣٣، يرى "أن الجهود البنيوية التي تتميز بشمولها المنهجي قد أصبحت قاسما مشتركا بين العلوم الكيميائية والإحياء والنفس والاقتصاد والدراسات اللغوية، ولكن ليفي شتراوس لم يتوصل إلى المنهج الذي أتاح له تطبيق البنيوية في الأنتروبولوجيا إلا في أواخر الأربعينيات وكان ذلك حين سعى ليفي شتراوس إلى تفسير التحولات التي تحدث في الثقافة وفي الإدراك الفردي للواقع الاجتماعي في محاولة منهجة للكشف عن معنى الأساطير القبلية (في أمريكا الشمالية والجنوبية) من خلال دراسة التعارضات اللغوية والتحولات في اللغة المنطوقة. (كيروزيل، ١٩٩٢، ص ٢٥-٢٦)

إنطلق تروتسكوي من الفكرة القائلة بأن اللاوعي (اللاشعور) مفهوم يحتاج إلى فهم أوسع مما تداولته الأوساط الكلاسيكية، ويمثل التحليل النفسي القلب المحوري للنظريات الألسنية والبنيوية، وإذا كان ريكور اهتم بالرمز في كليته أو ب: علم العلامات، فإن مهمة التحليل النفسي غير ذلك، واضح أنها تكشف ملابسات الرمز وتبيان الجانب المخفي للرمز والملاحظ ضمن النسق المعروف يعتبر جاك لاكان من القراء الممتازين المهمين في حقل النظرية الفرويدية، ويبدو

أنه قدم قراءة لفرويد تتشابه للقراءة التي قدمها البنيوي الماركسي لويس التوسير، ويلاحظ أن هناك صراع وسجلات حقيقية بين مختلف التيارات الأدبية والتحليل النفسي والظواهرية والماكسية والنيتشوية... الخ، هذا الوصف نجد له أثرا بليغا لدى جاك لاكان، وهو يقول: "إن إمكانية التقارب كثيرة ما بين العمليات الأولية والقواعد القائمة على اللغة، لأن اللغة هي ظاهرة بنيوية تضح لقواعد محددة نتحكم باستعمالها وتمثل البنية التي تقوم عليها أية لغة من اللغات، سواء في تصريف الأفعال أو المضادات والمرادفات أو في البلاغة، من كناية إلى إستعارة إلى مجاز ومجاز مرسل، فاستعمال اللغة يرضح لمثل هذه القوانين اللغوية، لأن المعاني تتدفق ضمن قنوات محددة خاصة ومميزة للذات" (عدنان حب الله، ٢٠٠٤، ص ٥٧).

ومن أجل إنقاذ النص، أي نقله من وضع الحاضر لدلالة ما والعودة به إلى طابعه اللامتناهي، على القارئ أن يتخيل أن كل سطر يخفي دلالة خفية، فعوض أن نقول الكلمات، فإنها تخفي ما لا نقول، إننا نجد القارئ الذي يمكنه اكتشافه أنه بإمكان النصوص أن تقول كل شيء باستثناء ما يود الكاتب التدليل عليه فقي اللحظة التي يتم فيها الكشف عن دلالة ما، تدرك أنها ليست الدلالة الجديدة، إن الدلالة الجديدة هي التي ستأتي بعد ذلك، وهكذا دواليك، إن الأغبياء، أي الخاسرين، هم الذين ينهون السيرة قائلين لقد فهمنا أن القارئ الممتاز هو الذي يفهم أن سر النص يكمن في عدمه. (امبرتو ايكو، ٢٠٠٤، ص ٤٣).

4. خاتمة:

إن نعوم تشومسكي وأشباعه حاولوا تكريس جهدهم في التأصيل لمشروع التداولية، حيث تبحث في توظيف المعنى اللغوي لتوليد المعنى، ويلاحظ بأنها تدرس اللغة من نظرة وظيفية معرفية واجتماعية، ثقافية، ويبدو أنها تعتبر نقطة التقاء بين مختلف العلوم ذات الصلة وبينها وبين اللسانيات والبنيوية والتفكيكية والتأويلية، لأن تداخل التداولية مع كثير من العلوم؛ إذ أن جملة من العلوم قد أسهمت في تشكل هذا الاتجاه، فهو اتجاه قد تعددت روافده المعرفية التي أمدته بجملة من المفاهيم المستقرة فيها، ويضاف إلى ما سبق من النتائج التي توصلنا إليها فان الفلسفة التحليلية أدت إلى ظهور النظرية التداولية في كنفها والسميائية ونظريات القراءة والتحليل اللغوي وعلوم اللغة وعلم اللغة النفسي وغيرها، والملاحظ أن ليس للنظرية التداولية وحدات تحليل خاصة بها ولا موضوعات متصلة.

بخلاف ريكور الذي وجد نفسه محاصرا بالعديد من العلوم التي نحل منها معارفه ويعتبر كتابه المهم "من النص إلى الفعل-أبحاث التأويل" نقطة فاصلة في فكره لأنه يعالج إشكالية النص من زاوية فلسفية يحاور فيها مختلف المناهج الحديثة التي تقول من خلالها أن الرمز متعدد، واللغة عاجزة عن التعبير عن ذاتها، كما أن النص هو فيض من المعاني، وقراءة ريكور السميولوجية المتميزة تتشابه إلى حد قراءة جاك لاكان لرائد التحليل النفسي سيغمود فرويد، والملاحظ أن

أوجه التقارب بين ريكور وشومسكي أنهما كلاهما اهتم اهتماما بليغا بالكلام والخطاب وتشكل اللغة والمنطوقات عن طريق مسألتهم الجادة للعديد من المناهج.

٥. قائمة المراجع:

- أحمد إبراهيم، (٢٠٠٨)، أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدغر، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- ايكو امبرتوا، (٢٠٠٤)، التأويل بين السيميائية والتفكيكية، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء، المغرب.
- بارث رولان، (١٩٩٢)، لذة النص، ترجمة: منذر عياشي، دار لوسوي، باريس.
- جاكسون رومان، (٢٠٠٢)، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة: حاكم صالح علي وناظم حسن، الدار البيضاء، المغرب.
- حب الله عدنان، (٢٠٠٤)، "التحليل النفسي للرجولة والأنوثة من فرويد إلى لاكان"، دار الفرابي، بيروت (لبنان).
- خليفة بوجادي، (٢٠٠٩)، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر.
- عميرة خليل أحمد، (٢٠٠٤)، المسافة بين التنظير النحوي والتحليل اللغوي، بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن.
- عبد العزيز العيادي، (١٩٩٤)، ميشال فوكو المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- ريكور بول، (٢٠٠١)، من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر.
- ريكور بول، (٢٠٠٥)، صراع التأويلات، دراسات هرمينوطيقية، ترجمة: عياشي منذر ومراجعة زيناقي جورج، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان.
- كيروزويل اديث، (١٩٨٥)، "عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو"، تر: جابر عصفور، بغداد.
- كيروزيل اديث، (١٩٩٣)، آفاق العصر، عصر البنيوية، دار سعادة الصباح، الكويت.
- شومسكي نغوم، (٢٠١٠)، أشياء لن تسمح بها أبدا، لقاءات ومقالات، دار نينوى للدراسات والنشر، دمشق، سوريا.

تشومسكي نعيم، (٢٠١٧)، بنیان اللغة، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، لبنان.
شاهين عبد الخالق فرحان، (٢٠٠١٢)، أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الكوفة.